رجل كحشمت باشا دلّت سوابق أياديهِ على اللغة العربية على ان يديه لا تنكمشان عن مساعدتها . ففي قليل من عناية امراء هذه النهضة يُحقق الأمل ويتم الرجاء . وأول حلقة من حلقات هذا النهوض انشاء ندوة للمشتغلين بالأدب يسنّ لها نظام يربط ابناءه في مصر وسوريا والعراق حتى والمهاجر الاميركية . فتكون هذه الندوة أشبه شيء بغرّة الفجر الآتي العربي ، ونجمة هذه اللغة التي تهدي بنيها الى أفضل السبل للنهوض بها في معارج الفلاح . واذا كانت هذه النهضة الأدبيــة دليلاً على حياة الأمة العربيــة ففي تنظيمها وتسييرها في سبلها خير ضامن لها بالبقاء . فالى العمل والنهوض أيها الأدباء .

(مصر) ابراهيم سليم نجار

عهود الغادات

صديقتي العزيزة أنيسة

اليكِ مني هذا النبأ الغريب . انه لنبأ غريب ، لأنهُ كان في اعتبارك واعتباري غير محتمل الوقوع . ولكن صدق القائل « لا مستحيل على وجه الارض » . تودّين أن تعرفي هذا النبأ في الحال . ولكني أقول لكِ احزريه . ربما تظنين اني صرت غنياً عظيماً كأني اكتشفت كنزاً ، تحسبين ان الحكومة عينتني وزيراً ، او غير ذلك من الأمور الغريبة . ولكن امثال هذه الأمور — وان تكن غير منتظرة — أقرب في اعتبارك واعتباري مما سأقوله لكِ ، لانكِ لن تحزريه . وليس ذلك لأنهُ لا يحدث مثله كلَّ يوم وكلَّ ساعة بل لأنهُ كان عندنا غير محتمل الوقوع

أقول لكِ بلا تطويل في المقدّمات ان امينة قاطعتني ، وكنت أود ان اراكِ وانتِ تترددين في تصديق هذا النبإ ، بل ان ارى دهشتك وقد تحققتِ صحته لأشاهد أبلغ حالة من حالات الاندهال والتعجب . ولكن لا صبر لي على كتمان هذا

الحادث عنكِ الى حين اللقاء . نعم ان أمينة نسيت او تناست ذلك الحبَّ الشريف الشديد المتبادل الذي كان يربط روحينا برابطٍ كنتُ اظن أن ما من قوة في الوجود تقدر على قطعه حتى ولا الموت . فهل تصدقين هذا النبأ

أنتِ صديقتها الحميمة ومستودع سرّ فؤادها . أنتِ التي طالما رأت الوجد يُسيل من مآقيها العبرات ، وطالما سمعت الهوى يصعّد من صدرها الزفرات ، وطالما رنّت في آذانك أقسامها المغلظة بأن « اتوس » هو حبيبها الوحيد الدائم ، وانها انما يحبه تحيا . انتِ التي تعرفين كلَّ ذلك . هل تصدقين انني صرت لديها كغريب ، كأنَّ لم يكن شيءٌ مما كان .

نعم هكذا حصل . والأدهى انها لا تريد ان تقدم سبباً لهذه المقاطعة سوى « ان هذا الحب لا حاجة اليه ولا فائدة منه »

لكَم قلت لها — وأرجوكِ عذراً وصفحاً — ان قلوب النساء متقلبة ، وانها بقدر تسرُّعها في الميل تتسرع في الانحراف ؛ فكانت تقول لي «لستُ من تلك النساء . ان حبي لكِ لهو دمي الذي يجري في عروقي ؛ فحياتي هي البرهان على دوام وجوده » . وها هي الآن تحيا وتزداد يوماً عن يوم عافية ونضارة

يقولون ان جسم الانسان مجموعٌ مؤلف من خلايا حيوية صغيرة جداً دائمة الفناء والتجدد . فهل تظنين ان هذا الناموس الطبيعي — أي الفناء والتجدد — يغيّر هوية الشخص فيصيّره اليوم غير ما كان منذ سبع سنين

ان اميال النفس المختلفة — وسيدها الحب — لا توجد في الانسان عفواً ، بل لا بدَّ لها من سبب . ولا أنكر ان هذه الأميال تتغير أو تضمحل ، ولكنها كما وُجدت بسبب ، فزوالها يجب ان يكون لسبب ايضاً ، وبقدر ما يكون الميل شديداً ، يكون سببه عظيماً . فزوال هذا الميل الشديد يقتضي ان يكون سببهُ عظيماً ايضاً . فهل تستطيعين ان تستخرجي لي من أعماق صدرها سبب هذا الانقلاب العظيم

انتِ تعرفين تاريخ حبنا كلهُ وتقدرينه قدره من الاعتبار لأنهُ حبٌّ روحي كنا بكل جرأة نباهي بهِ ونفاخر . ولكني لا أعلم اذا كنتِ تعرفين كيف نبت هذا الحبّ ونما ، فاعلمي يا أنيسة انني أنا الذي كنت ضحية هذا الحب بلا ذنب

كنت يوماً اتنزه مع نسيبةٍ لي ، فالتقينا اتفاقاً بأمينة تتنزه مع قريب لها ، وكان بيني وبين قريبها تعارف سابق ، و بينها و بين نسيبتي مثله ، فتبادلنا التحيات واجتمعنا نتحدث في شؤون مختلفة ، فما انتهت جلستنا حتى شعرت بأني نزلت من فؤاد امينة منزلاً حسناً . ثم تلاقينا فمدّت اليَّ يد التودّد ، فمددت لها يد الترحاب ، وكل منا يعجب بسجايا الآخر ، وهكذا نما الحب واشتد وتمكن مني

لم أتعشقها من نظرة كما يقولون ، ولا سعيت في جذب قلبها نحوي بالنصبي ، وهي خالية الذهن مني ، ولا سبقتها بيث الحب . بل لطالما عملتُ على اطفاء ما كان يتقد في نفسها من الشغف بي اتقاء لمبادلتها هذا الوجد خشية ان تنقلب عليَّ يوماً ، ويكون ولعي بهـا قد أزمن ، فلا يبقى الى الشفاء سبيل فأشقى وتسعد ، وأتألم ولا تبالي ؛ ولكنها كانت قادرةً ، فلفحت دمي بمكروب هواها ، وتركتني هازئة ، ولسان حالها يقول : اشفَ ان قدرت

هل أقول ان مظاهرها تلك كانت تفنناً في اختلاب الألباب واستهواء العقول . انكِ لا توافقيني على هذا القول ، وأنا لا أجسر على الجزم بهِ . انكِ تعرفين منها أنَّ حبها كان حقيقياً كحقيقة وجودها ، ولكن يمكنني الآن ان اكرر قولي لكِ — ولو ساءك — اكرره ولا أقبل فيهِ جدالاً ، ولا بضده اقتناعاً ان قلب المرأة سريع الميل سريع الانحراف . ان حبّ المرأة فجائي الحدوث فجائي الزوال ولعلها في هذا الخلق أسعد حظاً من الرجل ، فلا تأسف على هناء ضاع ولا تذكر حباً كان ، في حين ان ثبات الرجل في حبٍّ لا أمل له فيه ولا عزاء ، انما هو كل الشقاء

ان الراويات الموضوعة التي تمثل وفاء المرأة وخيانة الرجل في الحب ، انمـا هي

تخيلات يُقصد بها التأثير على طبع المرأة الفطري لجعلها وفية ولو خانها الرجل ، ولكن عبثاً يتعب هولاء القصاصون

لقد اطلتُ القول وانتِ تنتظرين ان تعرفي كيف صارت هذه المقاطعة . نعم ، واليك البيان :

تعلمين أنا كنا نتقابل ونتكاتب ، فزرتها يوماً فوجدتها غائبة عن منزلها ، فكتبتُ اليها فلم آخذ جواباً ، فكتبت ثانية فجاءني منها الكتاب الآتي نصهُ :

١٠ ابريل حضرة الفاضل الكريم المحترم

تشرفت بكتابيك الأول والثاني ، المؤرخين في ٧ و ٩ الجاري، وها أنا اجاوب حضرتك عليهما معاً ، فأقول : لقد رأيت بعد التفكر الطويل ان علاقتنا القديمة لا حاجة اليها ولا فائدة منها ؛ ولذا أرجوك أن تعذرني على عدم تمكني في المستقبل من مكاتبتك ومقابلتك ، بيدَ اني أبقى ذاكرة على الدوام مكارم اخلاقك وحسن شمائلك ؛ ولا أزال اعتبر نفسي الصديقة المخلصة أمينة

دهشت من هذا الكتاب ، ولم أفهم ما اقرأ لأول وهلة ، فكررتُ القراءة على مهل ، ويداي ترتجفان ، وعيناي تحدقان في هذه الحروف المرسومة ، لعلي استنتج من أشكال رقمها حالة الانفعال النفساني التي كانت امينة عليها عند كتابتها ؛ فوجدتها متناسقة جميلة ، على أحسن ترتيب ، مما يدلُّ على ان الكاتبة كانت على اتمّ ما يكون من الرواق والارتياح ؛ وجعلت أفسر هذا الكتاب الوجيز كما يفسرون طلسماً مبهماً ، فأخذ تفسيره عندي ما لو كتب لملأ مجلداً

صرت بعد « العزيز والحبيب » حضرة الفاضل الكريم المحترم

نعم ما دام أن قلبها قد انقلب ، فقد صار حبنا لا حاجة اليه ولا فائدة منه . على أنهُ قد كان ذا فائدة ، واليه حاجة فيما مضى ، قد كان الدم الذي بهِ نحيا

والمرء يحب الذكرى اللذيذة ؛ فأخذت مجموعة رسائل أمينة وجعلت أقلب في

صفحاتها ، فوقع نظري للحال على كتاب سأنقل اليكِ بعضاً منهُ . قالت :

« الوقت الآن نصف الليل . الناس نيام والطبيعة هادئة ساكنة . لا صوت ، ولا حركة . لم استطع النوم فقمت الى الحديقة لأناجيك . جلست على المقعد وتخيّلتك واقفاً بجانبي ترنو اليّ بتلك النظرات وتبسم لي . نسيم لطيف يمرّ بجانب وجهي فأحمله اليك تحيتي . ليتك الآن خارج غرفتك فكنت تسمع النسيم ينقل اليك قولي « أحبك دائماً » . تنشق هذا النسيم فان روحي صائرة معه اليك »

ولا يخلو كتاب من كتبها من مثل هذا المعنى

قلت لها مرة ؛ بل غير مرة : يا أمينة تحدثني نفسي بأن حبك هذا لا يدوم ، وياشد ما أخشى زواله ؛ فقالت : بل يدوم الى الأبد . قلت : اسمعي . لا ينشأ الحب عبثاً ، بل لا بد أن يكون في المحبوب مزية او مزايا راقت في نظر المحب فأحب صاحبها ، واذا كنتِ قد رأيت بي مزية تحبينها ، فلست متفرداً بها وحدي ، بل أنها توجد في غيري ، وربما بصورة أعظم وأجلّ . وقد يوجد من يتحلى بمزايا ومحاسن متعددة ، والقلب يميل الى الافضل . قالت لقد رأيت كثيراً ولم أرَ مثلك . قلت سترين في المستقبل . قالت لن يوجد مثلك أبداً

راجعت ضميري فلم أجد في أتيت سبباً يوجب هذا الانقلاب . وأنت تعلمين انها حرّة بفؤادها وسلوكها ، فالسلطة الادبية لا تؤاخذها على حبها هذا الشريف ولا سلطة شرعية عليها تحول دون استمراره واعلانهِ . فليس اذاً هنالك سبب خارجي دعا الى هذا الانقلاب والسبب منها ولا شك . فما هو ؟

لقد صح انذاري . ورأت من هو أفضل مني حاولت الجمع بين حبين ، ولكن غيرة الحبيب الجديد قطعت صلة الحبيب القديم . هي تظنني أجهل هذا السبب فدعيها مطمئنة الى ظنها . . . هنيئاً لها . . . !

انوسى